

ألم الحياة

أنظر إلى «آدم» في نهاية كل يوم وهو نائم، كم هو بريء! كم هو جميل! كم هو حنون! كم هو أخضر! أفكر في «حال الدنيا»، فينقبض قلبي. أفكر في رائحة الياسمين وملمس ورائحة الريش، فأشعر بالسلام والأمان. أسأل نفسي عن درجة حمايتي لـ«آدم» من الألم النفسي، هناك شعرة بين الحماية والتضليل. إلى أي درجة نحمي أطفالنا من الواقع والحقائق؟ إذا صنعنا حجاباً متيناً بين الطفل وبين حقائق هذا العالم، ظناً منا أننا نحميه، نحن نفعل العكس تماماً. العزل التام عن الحقائق يدمر الطفل على مستويين، نربي طفلاً منفصلاً عن الواقع، وفي نفس الوقت سيتعرض الطفل لكم صدمات متتالية عند خروجه من تحت مظلتنا، قد تكسره إلى الأبد. سأعرض الآن بعض الأمثلة لتلك الحقائق التي يجب ألا نعزل أطفالنا عنها.

* الموت / الفقد

الموت هو الحقيقة الوحيدة المؤكدة في هذه الحياة. كلنا سنموت. كل الكائنات الحية تموت. عدم تعريف الطفل لهذه الحقيقة مبكراً والكذب عليه بشأن وفاة حيوان أليف أو

موت زرعة أو فقد عزيز لن ينفعه في المستقبل. من المهم أن يعرف الطفل الحقيقة في وقتها وأن يفهم أن هذا واقع. دورنا ليس حجب حقيقة الموت عن الطفل لكن مساعدته على فهمها وتقبلها وعلى التعبير عن مشاعره بحرية تامة. إذا كان الطفل ذكراً، أرجوكم، لا تقولوا له أبداً إن الرجال لا يكونون.

* الحوادث

حوادث الطريق واقع نراه كل يوم. أتعمد أن ألفت نظر «آدم» للحوادث على الطريق، ونعتبرها فرصة لمراجعة أهمية التأني، وأهمية ربط حزام الأمان، وأهمية النظر جيداً قبل عبور الطريق، وأهمية احترام إشارات المرور. نتحدث عن سيارات الإسعاف وعن الطرق، وكيف يجب أن تكون لتقلل من نسبة الحوادث.

* الأمراض

الأمراض أيضاً واقع. بعضها بسبب واضح والكثير منها بدون سبب. الإصابة بالأمراض مثلها مثل الموت لا ترتبط بعمر ولا جنس. يسأل «آدم» عن فلانة فأقول له إنها مريضة وتحتاج علاجاً طويلاً. يسأل عن السبب فأقول له إني لا أعرف. قد يكون بسبب أسلوب حياة أو أنواع طعام وقد يكون مجرد أن نصيبها كده! أبتعد تماماً عن ترسيخ فكرة أن المرض عقاب أو ابتلاء، المرض ليس إلا مرضاً!

* الحروب

في كتابنا المفضل «حياتهم مثل حياتي، كيف يعيش أطفال العالم»، يوجد جزء عن الأطفال في مناطق الحروب وكم كانت صدمة «آدم» هائلة عندما رأى منازلهم المهدومة ومدارسهم التي احترقها الرصاص ولعبهم ببقايا الدبابات والطائرات. تحدثنا كثيراً عن الحروب وعن أسبابها وعن ضحاياها. نتحدث أيضاً عن الحب والسلام، وأن هذا ما يفتقده العالم.

* الانفجارات والحوادث المدبرة

يجلس «آدم» في حضني كثيراً ويتصفح معي الأخبار على الفيسبوك. مرة يرى حطام طائرة ومرة يرى قرية محروقة ومرة يرى كنيسة تم تفجيرها وغيرها من الحوادث المحلية

أو العالمية. نتحدث عن الجريمة وعن الإرهاب وعن النفوس المريضة. للأسف هذا واقع! نتحدث عن الآخر وعلاقتنا به وحدودنا معه. نتحدث عن التقبل والتسامح. نتحدث عن العالم كما يجب أن يكون ولكننا نعرف أنه ليس كذلك.

* الخلافات العائلية

كان جدي وجدتي، أهل أبي، رحمهما الله، يخفيان أي مشاكل بينهما عن أبنائهم الثلاثة. كبر الأبناء ظناً منهم أن المتزوجين لا يختلفون، وأن زيجاتهم ستكون مثل زيجة أمهم وأبيهم. تزوج الثلاثة وصدموا! الواقع مختلف. لهذا، لا تخفوا مشاكلكم عن أعين الأطفال، لكن كونوا قدوة في كيفية التفاهم وحل المشكلات بتحضر واحترام. كونوا قدوة في التحكم بالغضب والتواصل البناء والذكاء العاطفي.

* قلة الموارد المالية

يفتح «آدم» محفظتي فيجدها شبه فارغة ويسألني عن المال. أقول له إنني لم أقبض بعد أو أنني سأذهب إلى البنك. يراني «آدم» وأنا أسحب المال ويراني وأنا أسدد البطاقات الائتمانية، ودائماً أبلغه بتطورات وضعي المالي بكل صراحة. لا ألومه على إنفاقي عليه ولا أحمله ذنب قلة الموارد المالية ولا أدعي الفقر في وجود الرزق. هو يعرف الحقيقة: لا بد أن نعمل لنجني الأموال ويجب أن نوازن بين المصاريف والمتوفر من الأموال.

* أولويات الصرف

في أوقات يطلب «آدم» لعبة وأقول له إنني ليس معي ما يكفي من المال. يجيبني أن في محفظتي 500 جنيه مثلاً. لا أنهره ولا أفقد أعصابي ولكنها فرصة لأوضح له أولويات الصرف، فيم سأصرف الـ 500 جنيه وله الفرصة ليختار بماذا سوف يضحى لشترتي اللعبة.

* الفقر

الفقر واقع في هذا البلد ولا يمكن تجنبه. دائماً يخلط «آدم» بين الفقراء والشحاتين بناءً على مظهرهم. كل مرة أوضح له الفرق بناءً على تصرفاتهم. الفقر أيضاً نصيب، وأوضح لـ «آدم» أهمية التعليم وأهمية العمل وأهمية تطوير الذات حتى لا يكون في يوم من الأيام

معدماً أو شحاذاً. دائماً في كلامي عن الفقر أتكلم عن التعليم، وحتى عندما نختلف معاً أثناء درس ما وأغضب، يجري «آدم» خلفي ويقول «من فضلك علميني!»

هذه بعض الأمثلة لواقع مؤلم مخيف مرير نتمنى جميعاً ألا يراه أبناؤنا، لكن من الأفضل أن نختبروه في وجودنا وتحت مظلتنا لنحميهم من العجز عن التعامل مع الواقع فيما بعد.